فقه أهل البيت عليهم السلام

فصليّة فقهيّة متخصّصة

الطبعة الثالثة

- الحـــوزة و آفاق المستقبـــل
- ضمـــان انـخفاض قيمة النقـد
- عـــدة مـــن لارحـــم لهـــا
- الخمس في الحكومة الإسلامية

٢

العدد الثاني- السنة الاولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

الحوزة العلمية وآفاق المستقبل

□ آية الله السيّد علي الخامنئي

نقدّم لقرّائنا الأعزّاء مقتطفات من الخطاب التأريخي الهامّ الذي ألقاه القائد المفدّى ولي أمر المسلمين سماحة آية الله السيّد علي الخامنئي دام ظلّه في المدرسة الفيضيّة بمدينة قم المقدّسة في الحادي عشر من رجب عام ١٤١٦هـ والمصادف لـ ١٩٩٥/١٢/٤ م . . والذي وجّهه إلى طلبة العلوم الدينية ومنتسبي الحوزة العلميّة . . ومحور الخطاب كان يدور حول مسؤوليتنا الكبرى تجاه الحوزة العلميّة . . وقد تحدّث سماحته عن الأوضاع الراهنة للحوزة وما فيها من نقاط قوّة أو ضعف أحياناً . . ثمّ بيّن سماحته السبل التي يمكن من خلالها الانطلاق لمعالجة مواطن الخلل . . وفي غضون بياناته عرض جملة من المفردات التي ينبغي للمؤسّسة الحوزوية أن تمارسها . . وفتح أمام الفضلاء والعلماء آفاقاً جديدة أكّد على ضرورة اقتحامها والخوض فيها . . هذا ، وقد أهاب حضرة الولي الفقيه بالطاقات الهائلة والإمكانات البشرية الضخمة التي تمتلكها الحوزة سيّما الجيل الواعي . . ونظراً لأهمّية هذا الخطاب وما ينطوي عليه من إلفاتات وتوجيهات ارتأينا أن ننقل إليكم بعض المقاطع الهامّة . . ونعرض بين أيديكم باقة من كلماته العطرة . . وغيضاً من فيضه :

تأريخ النشوء:

.. إنّ الحوزة العلمية في قم ـ والتي نتحدّث عنها اليوم بكل اعتزاز ونكنّ لها كامل الإجلال والإكبار ـ ما هي إلّا خلاصة وحصيلة الحوزات الشيعية على طول التأريخ ، فقد بدأت هذه الحوزة نشاطها أواخر القرن الثاني أو على أقلّ التقادير في القرن الثالث ، ففي عهد الأئمّة الثلاثة ـ الإمام الجواد والهادي والعسكري سلام الله عليهم أجمعين ـ نشأت في تلك الآونة عدّة مراكز وحوزات علمية شهدت فيها قم حوزة علمية بكل ما للكلمة من معنى حيث البحث والتدوين والتأليف والنشر والتدريس والتلمذ .

وعليه ، فقد تكون حوزة قم هي أقدم الحوزات العلمية التي لا تزال تحتفظ إلى اليوم بآثار الأجلّاء كالأشعريّين وآل بابويه وغيرهم ، ثمّ انتقلت بعد ذلك وانتشرت في أصقاع أُخرى من شرق العالم الإسلامي وما وراء النهر وشرق خراسان ، فتخرّج من هذه الحوزات ثلّة من المحدّثين والرواة والمؤلّفين أضراب الشيخ العياشي والشيخ الكشي والسمرقنديّين و . . .من ثمّ حوزة بغداد حوزة الشيخ المفيد ومن بعده السيّد المرتضى والشيخ الطوسي رضوان الله عليهم . . . فيما تأسّست حوزة النجف لتشكّل مرحلة مهمّة ومركزاً للحوزة العلمية في الفقاهة والحديث وسائر

العلوم الإسلامية ، وذلك على أثر هجرة الشيخ الطوسي إليها عام (٤٥٠ ـ ٤٤٨) .

.. وهكذا أخذت تتوالى بعد ذلك الحوزات الشيعية في الظهور في الشامات وطرابلس وحلب ومن ثمّ في الحلّة التي تحتفظ المكتبة الفقهيّة بأسماء فقهائها ومؤلفاتهم ، وتستمر هذه الحركة حتى قيام الدولة الصفوية في إيران حيث يعتبر بداية مرحلة ..

وبعد تلك المرحلة بلغت حوزة النجف وكربلاء الذروة في التكامل على يد تلامذة الوحيد البهبهاني والشيخ الأنصاري وصاحب الجواهر وتلامذتهم إلى الفترة الأخيرة .. ثمّ عادت الحوزة بعد ذلك إلى قم ثانية على يد آية الله الحائري وآية الله البروجردي ولا زالت حتى اليوم . إنّ هذه الحوزة التي هي حصيلة تلك المسيرة التأريخية والحركة العلمية العظمى قد وصلت إليكم الآن . وجدير بذوي النظر من فضلاء الحوزة أن يتناولوا بحث هذا الموضوع بشكل متقن ومحقّق ، ونحن نرى ـ ولله الحمد ـ التعرّض لمثل هذه المسائل .

المسؤوليات الثلاث:

إنّنا اليوم نتحمّل ثلاث مسؤوليات تجاه الحوزة العلمية التي تعتبر ميراثاً لاثني عشر قرناً ، وهذه المسؤوليات الثلاث هي من البديهيات الغنية عن الاستدلال ألا وهي :

١ ـ الحفظ ... ٢ ـ الترميم ... ٣ ـ الشموخ .

أوّلاً ـ الحفظ : إنّ حفظ الحوزة أمر حاصل ولله الحمد ، وهو اليوم أفضل من السابق كمّاً وكيفاً ، فلا بحث في هذه النقطة بشكل عام .

ثانياً ـ الترميم : وهو أمر أدقّ من سابقه وأكثر صعوبة فلا يكفي أن نحمل تراث السلف لنسلّمه إلى الأجيال الآتية ، فإنّ التوقّف في مثل هذا الأمر ضرب من التخلّف ، فماذا نقصد إذن بالترميم ؟

. .الترميم عملية تعويضيّة لما يتّفق للحوزة من ثلمات ونواقص فيعوّض ذلك بتربية الطاقات البشرية أو استبدال بعض المفاهيم الجديدة مكان المفاهيم القديمة التي اندرست ونسخت ، فإنّ المفاهيم تفقد حيويّتها ونشاطها بمرور الأيام فلا بدّ من التجديد والتحديث . وهذا الأمر ـ تقادم الأفكار وشيخوختها ـ يتّفق لسائر العلوم ، فلا بدّ من بحوث جديدة تُطرح لتملأ الخلأ العلمي الحاصل من فقد واندراس المفاهيم القديمة ، كما أنّ حجم تلك البحوث والمفاهيم لا بدّ أن يصل إلى مرحلة البلوغ والكمال . وعملية الترميم هذه تحتاج إلى كثير من الجهود والمعاناة .

ثالثاً ـ الشموخ بالفقه : وهذا الأمر أكثر أهمّية وتعقيداً ممّا سبق ، وهو يعني التحديث وكشف الآفاق الجديدة ، ولا يعني التطوير تعميق البحوث وكثرة التدقيق فيها ومحاكمة الأفكار بقدر ما يعني اكتشاف آفاق جديدة في العلم نفسه أي في الملكات والقابليات الفقهيّة أو في محاصيل العلم ونتاجه أي البحوث الفقهيّة ، والكلام ذاته جارٍ في الأُصول وعلم الكلام وغيرها من العلوم التي تحتاج إلى الحياة .

. .الحوزات العلمية إنّما يمكنها ممارسة الترميم والتطوير إذا كانت حيّة فاعلة ، فالحوزة الموات لا يمكنها القيام بأعباء ذلك . إنّ الحقائق الإنسانية كالإنسان من حيث ما يطرأ عليه من أحوال مثل الموت والحياة والضعف والقوّة والصحّة والمرض ، والحوزة من هذا القبيل ، فثمّة حوزة قوية وأُخرى ضعيفة وحوزة موات وأُخرى حيّة وحوزة

مريضة وأُخرى صحيحة . . والحوزة التي يمكن أن تقوم بأعباء التغيير والتطوير فيما إذا كانت قويّة نشطة كي تتمكّن من التكامل وفتح الآفاق الجديدة لروّادها وطلّابها .

. . هذا هو تأريخ الحوزة وأصلها ونسبها العلمي العريق فما هو وضعها الراهن اليوم ؟ هذا ما يجب أن نفكّر فيه دائماً ، كما أنّه يجب على كل من يهمه مصير الإسلام أن يفكّر في هذا الأمر ، فإنّ هذه القضية من القضايا التي لا يمكن إهمالها والإغضاء عنها ، وهذا ما يجب التفكير به من قِبل جميع الأكابر والعلماء والطلّاب ، بل كل مسلم ينتفع من بركات الحوزات العلمية . كما أنّ التغيير المنظّم والمنهجي لا بدّ أن ينطلق من داخل الحوزة نفسها لا من الخارج ، نعم من الممكن أن يكون في الخارج مؤيّدون لكم يؤازرونكم إلّا أنّ العمل الأساس لا بدّ أن ينطلق من داخل الحوزة ، لذا فإنّ البحث يتركّز على مسألة ترميم الحوزة . فكيف هي اليوم ؟ وكيف تكون غداً أو كيف ينبغي أن تكون ؟ إنّ الحوزة اليوم قد تطوّرت بالنسبة للسابق ، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، بل وضعها الراهن غير قابل للقياس مع السابق ، فقد تغيّر وضعها كمّاً وكيفاً ، ففي الماضي كان عدد الطلّاب أربعمئة طالب واليوم هناك آلاف الطلبة المشتغلين بطلب العلم ، كما أنّ فضلاء اليوم ليسوا بأقلّ من فضلاء الحوزة سابقاً ، وما يقوم به فضلاء الحوزة اليوم يفوق بعض الأحيان ما كان يقوم به طلّاب الأمس عشرات المرات من حيث الأهمّية في الجانب العملي وربّما أحياناً في الجانب العلمي . وعليه ، فلا يستطيع أحد أن يرمي الحوزة بالتخلّف ، فإنّ الحوزة قد تكاملت من هذه الجهة .

هذا ، بالإضافة إلى أنّ بحوث العلماء السلف موجودة اليوم بين أيدينا ، فإنّ كتاب المكاسب للشيخ الأعظم الذي ندرسه اليوم يمثّل أعلى

مراتب التحقيق للشيخ ، وهكذا الكفاية تمثّل ذروة الفكر الأُصولي لدى المحقّق الخراساني ، فالطالب الذي يفهم الكفاية اليوم يساوي تلامذة المحقّق الخراساني الذين كانوا يدركون الكفاية في ذلك اليوم ، غاية الأمر أنّ الكفاية في ذلك الزمان كانت تمثّل الشوط الأخير لكنّها اليوم ليست كذلك .

محطّات للتأمّل:

ثمّ إنّا إذا نظرنا إلى الحوزة من زاوية أُخرى فإنّا نواجه ملاحظتين رئيستين تتعلّقان بالوضع الراهن للحوزة أحدهما لم تكن في الحوزة سابقاً والثانية قد تكون كذلك .

الملاحظة الأُولى: أنّ الحوزة في الماضي ليس انّها لم تكن متأخّرة عن زمانها فحسب ، بل كانت متقدّمة عليه أيضاً . فإنّا لو نظرنا إلى العلماء في السابق نجدهم قد قدّموا عطاءً علمياً وفقهياً وكلامياً ضخماً لأبناء جيلهم ، فهم على قلّتهم قاموا بإنجازات عظيمة جبّارة ، نجد الشيخ المفيد وهو ببغداد يوجّه الشيعة في نيشابور أو بلخ أو هرات أو طوس على قلّة عددهم وبعدهم عن بغداد ويجيب على أسئلتهم الفقهيّة والعقائدية ، وهذا يعني أنّ الشيخ المفيد لم يكن متأخّراً عن زمانه . وهكذا عندما نلاحظ زمن الشيخ الطوسي وتقوّل الخصوم بأن لا مصنّف للشيعة نرى الشيخ ينبري ليقتحم الساحة لوحده فيصنّف ويلخّص أضخم كتاب رجالي (رجال الكشي) ويفرد كتاباً وفهرساً آخرين في الرجال من دون توانٍ أو تأخير . وقبل أن ينتشر الإشكال من محيط الخصم الذي يدّعي أن لا فقه لكم وإذا بالشيخ الطوسي أيضاً يصنّف كتاباً فقهياً تحقيقياً راقياً حسب التحقيق آنذاك . . وهو كتاب المبسوط وأيضاً نرى السيّد المرتضى

الرازي يؤلّف كتابه ردّاً على محمّد بن زكريا وأفكاره الإلحادية وإذا تجنّى البعض من المناوئين لأهل البيت عليهم السلام على الشيعة وعقائدهم نرى الردّ السريع الحاسم من قِبل عبدالجليل الرازي القزويني في كتابه (النقض) عندما يُكتب كتاب التحفة الأثنا عشرية في ذمّ الشيعة ومدح أهل البيت عليهم السلام ينبري السيّد حامد حسين فيكتب العبقات في ردّه، ولعلّ هناك عشرة ردود أو أو أكثر على هذا الكتاب كتبها علماء الهند وبعضهم من الطراز الأوّل. وعلى هذا، فإنّ الإمامية كانت تردّ بمنتهى القوّة وبالأُسلوب العلمي الرصين على كلّ من يتجنّى عليها في المجال الفقهي أو الكلامي واستمر الوضع على هذا المنوال حتى أواخر القرن السادس.

..لقد كانت مؤلّفاتنا تشتمل في الغالب على آراء فقهاء العامّة حتى زمن الشهيد الأوّل كالعلّامة وفخر المحقّقين حيث يجاب ويردّ على آرائهم بأدلّة قويّة كما في كتب العلّامة والمبسوط للشيخ وإن كان الشيخ في الخلاف اقتصر في الإجابة بالتمسّك بالإجماع حسب. نعم، فيما يلي من الزمان أهمل فقهاؤنا التعرّض لذلك، أمّا اليوم فإنّ أمواج الفقه والفلسفة والكلام والحقوق قد ملأت العالم في العصر الحاضر. وحتى في الأخلاق التي لا يقيم لها الغرب وزناً فقد نقل أنّهم قد خصّصوا قسماً من مكتباتهم لكتب الأخلاق التي ألّفها الغربيون أنفسهم في السنوات الأخيرة. وبالطبع إنّ تلك الكتب بصدد بيان الأخلاق المادية وفلسفتها ـ دون الروحيّة ـ وردّ الأخلاق.

ولكن ماذا قدّمت الحوزة في هذا المجال؟ ماذا كتبنا بعد كتاب جامع السعادات ومعراج السعادة؟

..والأمر نفسه نلاحظه حول ما كتب وحقّق في الغرب وفي العالم

الإسلامي غير الشيعي في مجال الحقوق المدنية والجزائية وأنواع أقسام هذه البحوث مع أنّ الفقه يعتبر ضمن اختصاص الحوزات بشكل كبير . كم كتب الآخرون في مجال الفلسفة والكلام الجديد وفلسفة الدين وعلم الأديان ؟ ربّما يكون كلّ ذلك غير صحيح إلّا أنّه يعدّ بضاعة فكرية وتيّاراً فكرياً يشغل شطراً من الفضاء الذهني للمجتمع ، فأين نحن من هذا ؟ وكيف نقابله ونواجهه ؟ ؟

الملاحظة الثانية: (التي نحتمل أيضاً اختصاصها بعصرنا دون الماضي) : هي مدى استثمار الرصيد البشري في الوقت المناسب ، ففي هذه الحوزة أُلوف من القابليات والطلّاب والفضلاء الذين لو اهتمّ بهم واحترز من تضييع أوقاتهم في الزوائد لكان كلّ منهم جديراً بأن يملأ قسماً من مناطق الخلأ والفراغ . ونحن نحتمل أنّه في السابق كان استثماراً حقيقياً للطاقات البشرية . فالعلّامة الحلّي مثلاً كان ـ وبمعيّة الملك خدا بنده ـ مدرسة سيّارة تستقطب الطلّاب إلى طلب العلم . وأيضاً ثمّة ملاحظات أُخرى نشير إليها .

الملاحظة الثالثة: الامتداد الأُفقي من حيث الجانب الكمّي المناسب للعلماء ، فكم من مسجد أو مصنعٍ أو دولة أو جامعةٍ أو قرية أو معسكر يفتقر إلى وجود العالم على الرغم من أنّ الطلّاب قد تضاعف عددهم بالنسبة للسابق عشرات أو مئات المرّات ، وعليه فإنّ هذا الكمّ الهائل لا يتوزّع ولا يتواجد بالشكل اللازم ، وهذه ملاحظة لا يمكن الإغضاء عنها . ففي الماضي كان في بعض البلاد الكبيرة عشرة مجتهدين يكفي كلّ واحد منهم لأن يدير مئتي طالب مجدّ إلّا أنّ هذه المدن لا يوجد فيها واحد من أمثال أُولئك ، ففي بعض المدن ترى البعض ممّن لا كفاءة

علمية له وإن كان هناك من هو لائق وجيّد .

الملاحظة الرابعة: الاتّساع عمودياً بالنسبة إلى الجانب الكيفي أو المحتوى الحوزوي : فهناك كثير من المسائل الفقهيّة والكلامية التي لم توضع لها الحلول ، فإنّا نفتقر إلى مجموعة من المعارف اللازمة لعالم الدين فهناك من الروحانيّين ممّن لا يتمتّع بما يجب أن يعرفه العالم اللائق في هذا العصر .

الملاحظة الخامسة: التوسعة في الجانب التبليغي والإعلامي : إنّ ما يصدر عن الحوزة من المطبوعات كالكتب والمجلّات والصحف لم يعد وافياً كما أنّ الإرسال إلى التبليغ ليس بالقدر الكافي مع الطلبات المكرّرة من القارة الأوربية والآسيوية والأمريكية وكافة أصقاع الدنيا والتي تعلن عن الحاجة لعالم الدين . هذه مجموعة ملاحظات نجدها في الكيان الكبير للحوزة إلى جانب المحسنات والإيجابيات والرصيد العلمي فيها ، وإن كان ثمّة أفراد يقومون بمثل هذه الوظائف المختلفة من تأليف وتبليغ في الميادين المختلفة وتحمّل المشاق والمصاعب في هذا السبيل إلّا أنّها تظلّ ممارسات فردية لا تفي بالغرض .

آفاق تنتظر الفقه:

أوّلاً: الانفتاح على المجالات الجديدة لا في حدود ضيّقة فحسب ، فهناك مسائل كثيرة لا بدّ للفقه أن يبدي نظره فيها فالفقه يمتلك القدرة على ذلك ، نظير مسألة النقد وتحليل حقيقة النقد فما هي حقيقة الدرهم والدينار الوارد في أبواب الفقه المختلفة كالزكاة والديّات والمضاربة ! وكيف نكيّف المسألة في باب القرض وودائع البنوك ؟ ومن هذا القبيل كثير من المسائل كمسألة اعتبار الأوراق النقدية في حالات

التضخمّ الفاحش . . فما هو حكم الدين والقرض في هذه الحالات كما لو اقترض قبل سنة أشهر قرضاً وأراد أداءه فإنّ قيمة المال المقترض قد اختلفت فما هو الحكم في المقام ؟ لا بدّ هنا من تأسيس مبنى فقهي للمسألة دون الاكتفاء بالإطلاقات والعمومات في حلّ المسألة . . وهكذا كثير من البحوث المتعلقة بأمر الحكومة وبحث الديات والحدود والقضاء ممّا لم تقدّم حلولها الفقهيّة ، وبالطبع فإنّ المتقدّمين غير مقصّرين في الأمر؛ لعدم كون هذه المسائل في ذلك الوقت مبتلى بها . كما يقول المحقّق الأردبيلي عن بحث الجهاد أنّه غير ابتلائي إلّا أنّه مع ذلك يبحث المسألة ويحرّرها في عدّةٍ أوراق ، بيد أنّ الجهاد اليوم يعدّ أمراً ابتلائياً لنا ، ولم تبيّن المسألة بشكل دقيق في الفقه . فعلى الفقه أن يعالج هذه المسائل وأمثالها كالمسائل المتعلّقة بأمر الحكومة وكثير من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسائل الابتلائية في المجتمع ومسائل التشريح وزرع الأعضاء وعدم الاكتفاء بالمعالجات السريعة ، ولنلاحظ في هذا ما كان عليه فقهاؤنا من دقّة وذهن جوّال في أبواب الفقه من العبادات والطهارة والصلاة ، فلا بدّ من توجيه هذه الدقّة والجولان الفكري على المسائل حسب أولياتها . إنّ الفقاهة تعني الاستنباط ، وهو أُسلوب وطريقة تحتاج إلى التطوير ، فهي ليست شيئاً متكاملاً بحيث يدّعى أنّا وصلنا إلى الذروة في الفقاهة بما لا مزيد عليه .

كلا . . إنّ المحقّقين والفضلاء باستطاعتهم اليوم أن يضيفوا جديداً ، وحينئذٍ سوف تتغيّر كثير من المسائل والنتائج ويكون الفقه شيئاً آخر . فالمحقّق لا بدّ أن لا يكتفى بالدائرة التي كان الشيخ الأنصاري (رحمه الله) يتحرّك فيها أو يتعمّق في تلك الدائرة ، بل على المحقّق أن يكشف آفاقاً غيرها ، وهذا أمر كان موجوداً في الماضي ، فالشيخ

الأنصاري أبدع الحكومة في النسبة بين الدليلين ثمّ جاء الآخرون وعمّقوا البحث في ذلك ، إنّ كشف الآفاق الجديدة في الفقه يعدّ أمراً ضرورياً خصوصاً وإنّ بعض الأكابر في زماننا هذا وما قاربه يتمتّعون بقوّة علمية ونظر دقيق بما لا يقل عن السلَف غاية الأمر هذا الأمر بحاجة إلى إرادة وشجاعة .

ثانياً: التوسّع بالشكل الكافي والمطلوب في علم الكلام ، وهذا أهمّ ممّا سبق ، فلا ينبغي تناسي ونسخ علم الكلام مع أنّ أكثر الهجمات تأتي من قِبل البحوث الكلامية . إنّ الحوزة العلمية لا بدّ أن تكون حوزة للكلام أوّلاً ثمّ للفقه ، فقد كان أكابر فقهائنا من المتكلّمين .

وكما تقدّم فإنّا لم نكن في السابق متأخّرين بحيث إنّ كلّ من يقول شيئاً يجد الجواب حاضراً عنده ، أمّا اليوم فإنّ هناك كثيراً من بحوث الكلام التي تطرح لم تقف الحوزة عليها ، فكم هناك في العالم من بحوث في علم الأديان وفلسفتها ممّا لا علم لنا به ؟ وهذا يعدّ خللاً كبيراً . وبالطبع فإنّ هناك أفراداً من منتسبي الحوزة يقومون بأعمال قيّمة في هذا المجال إلّا أنّ هذه هي مهمّة الحوزة ككيان يجب أن يتصدّى للإجابة على هذه البحوث . لا يتصوّر من الحديث حول الكلام هو أن نكتب أربعة كتب في هذا العلم مثلاً وننشرها ! بل المراد هو بلورة الفكر التجديدي المتكامل ، فاليوم توجد شبهات جديدة خطيرة ابتداءً بأصل التوحيد وضرورة الدين إلى وجود الصانع والنبوّة العامّة والخاصّة ثمّ مسألة الولاية وسائر البحوث الأُخرى ، فهذه شبهات يجب على العلماء الردّ عليها دفاعاً عن ثغور العقيدة . وبهذا نستطيع أن نجيب على كل من يثير شبهة ما في مجتمعنا أو ينشر مقالاً أو يطلق كلاماً واهياً عارٍ عن الدليل أو مع الدليل ، ولكن على نحو المغالطة . .نجيب على ذلك بلا أي تأثّر أو انزعاج ما دمنا نملك

الجواب العلمي ، ومن المؤسف جدّاً أن تتّهم الحوزة وهذا الدين المنطقي بفقدان الدليل والمنطق .

ثالثاً: أمر التبليغ : إنّ الانفصال بين التبليغ والحوزة خلل أساسي . أجل ، هناك من يمارس التبليغ لدواع مختلفة في التعطيلات الصيفية أو في شهر محرّم ورمضان ، بيد أنّ التبليغ فنّ لا بدّ أن يدرس في الحوزة ويأخذ بعداً علمياً ، ويقام بإعداد مقدّماته كعلم النفس الاجتماعي ، وتحضير البحوث وتصنيفها على حسب المخاطبين بحيث يكون ما يقال في الجامعة غير ما يقال في القرى أو ما يطرح في هذه المنطقة غير ما يطرح في تلك وهكذا ، كما أنّه لا بدّ من ممارسة التبليغ المرئي والمسموع . هذه جملة أُمور ربّما لم يمكن معالجتها بالأمس ، وقد يتعذّر معالجتها غداً ، وهو أمر ممكن اليوم ، ولم يكن العلماء في السابق باستطاعتهم معالجة هذه الأُمور بسبب الحكومات المستبدّة وتسلّطها على الأموال والإمكانات وخوفهم على أصل الحوزة من تلك الحكومات إلّا أنّ الوضع ليس كذلك اليوم ، فإنّ هناك دولة إلهيّة تدعم الحوزة وتؤازرها ، ونحن مستعدّون لدعم كلّ عمل إيجابي في العلاج والتصحيح ، وهذا لا يعني إنّا ندعو لربط الحوزة بأجهزة الدولة كما يدّعي ذوو النوايا السيئة ، فقد كنت قبل وبعد انتصار الثورة أذهب إلى ضرورة استقلال الحوزة مستدلّاً على ذلك بالأدلّة القويّة .

طرق العلاج:

أُقدّم المعالجات المقترحة بشكل مفهرس :

أوّلاً: الاعتراف بمواطن الخلل والنقص ، ولا يقال إنّ هذا الكلام لا قيمة له فإنّ هذه الحوزة نفسها هي التي ربّت أمثال الشيخ الأنصاري والميرزا النائيني والشيخ الخراساني والإمام وغيرهم من الأكابر . إنّنا ما لم نعترف بالخلل فلا يمكن العلاج ، وهذه المسؤولية منوطة بالطبقة

الشابة من الفضلاء بأن يكتبوا في هذا الموضوع . وأن يعاودوا طرحه والخوض فيه مع الرافضين له لإثبات توهّمهم .

ثانياً: الاهتمام بمسألة العلاج فلا يكفي الاعتراف بالمشكلة ثمّ الإغضاء عن الحلّ وادّعاء أنّه لا يمكن أن نفعل شيئاً ، وهذه أيضاً مسؤولية العنصر الشاب في الحوزة بأن يوضّحوا هذه الملاحظات للآخرين وللمتنفّذين في الحوزة .

ثالثاً: انبعاث روح العمل والتحرّك في نفوس الجيل الجديد في الحوزة ، ونعني بهذه الطبقة الأشخاص ممّن هو في سنّ الأربعين أو المراهقين لهذه السنّ من المشتغلين بتدريس السطوح والخارج .

رابعاً: تغيير الكتب (المناهج) الدراسية بصورة جدّية ، وهذه المسألة لا بدّ من أخذها بنظر الاعتبار والتغيير في المناهج لا بدّ أن يبتني على مراعاة وقت الطالب ، فإنّا لا نجد ضرورة إلى دراسة كتاب المغني في النحو عندما يكون هناك كتاب أكثر منه اختصاراً على المقدار اللازم منه وبلغة عصرية .

وهكذا لا نجد ضرورة لدراسة كتاب المعالم الذي يرجع عهده لأربعة قرون سابقة ! هذا بالإضافة للتعقيد الموجود في عباراته . فما هي الضرورة لتأخير الطالب في حلّ العبارة ؟ مع أنّ العالم المعاصر يتمرّنون فيه على فهم أعقد المشاكل بأسهل الأساليب والتعابير تراهم يرمزون لشيء من أجل أن يفهم من كلمة واحدة عشر كلمات . . فما هو السرّ إذن في أن لا نبدّل الكتب الدراسيّة ؟ !

. .من الضروري أن تتشكّل لجنة من الفضلاء لتدوين الفقه من أوّل الطهارة إلى الديّات بلغةٍ ميسّرةٍ . . لا بدّ أن تتشكّل لجنة لوضع كتاب دراسي يحتوي على مباحث كتاب المكاسب واستدلالاته خالي عن

التعقيد .. إنّا نريد للطالب الذي يصل إلى مرحلة الخارج ـ الذي هو بداية العمل الجادّ فإنّ ما قبله مقدّمات له ـ أن يكون مطّلعاً على المسائل الأُصولية والفقهيّة عارفاً بمباني الشيخ وصاحب الكفاية بحيث إذا سمع من أُستاذه كلمة أو إشارة يعرف المقصود ولا يضيع البحث. هذا هدف للطالب الذى يدرس السطوح والمقدّمات ... فإذا درسها جميعاً في أربعة أو خمسة أعوام استطاع أن يحضر درس الخارج ويبدأ عمله الأساس..

..إنّ الطالب من اللازم عليه اليوم أن يعرف اللغة الأجنبية من أجل أن يكون مفيداً بشكل كامل. قد يقال إنّ الطالب لا يسمح له الوقت بذلك. وهذا صحيح فإنّ الطالب لا وقت له مع هذا الوضع، إلّا أنّا إذا اختصرنا له الوقت كان بإمكانه أن يعرف ذلك.

إذن، لا بدّ من التغيير في المناهج الدراسية وتكون الانطلاقة في ذلك من الأساس، وهكذا في درس الخارج، فإنّ هناك من البحوث الفقهيّة والأُصولية ما لا طائل تحته؛ إذ لا حاجة له.. من الممكن أن يحتاج لها الفقيه طيلة عشرين عاماً مرّة واحدة في الاستنباط كما في بحث المعاني الحرفية أو الحقيقية والمجاز وغيرها.. فما هو الداعي لأن يتأخّر الطالب في مثل هذه البحوث؟ وقد قام الشهيد الصدر بذلك في هذا المجال فالأُطروحة التي قدّمها في علم الأُصول وفي كيفية تدريسه وتعليمه أُطروحة جيّدة.

خامساً: وجود مركز يتصدّى للعمل في هذه المجالات، وقد تأسّس.هذا المركز بحمد الله قبل أربعة أعوام، وهو مركز مديرية الحوزة ومهام المديرية شيئان:

١ ـ تدوين المواد القانونية والدستورية والإشراف على مسائل

الامتحانات والأُمور الذاتية .

٢ ـ الإشراف على الأعمال الكبيرة والأُخرى التي قد لا تخضع لمواد النظام الداخلي للحوزة العلمية كالنشاطات التعبوية والجهادية واستقطاب الكادر البشري .

سادساً: إيجاد أجواء مفتوحة لتلاقح الأفكار وبلورتها . وهذا من الأُمور التي تبعث الحياة في الحوزة ، ففي الفقه مثلاً يشكل مجمع لتدارس البحوث المستجدّة فيتقدّم كلّ من لديه مطلب مستجدّ أو أُسلوب حديث في مسألة فقهية من الطهارة إلى الديات ، فإذا كان البحث يقوم على أُسس رصينة وأدلّة متينة أخذ به ويطرح الموضوع للمناقشة والنقد ، وهذا الأمر لا بدّ أن يتحدّد ضمن ضوابط وأُصول معيّنة . وهكذا يؤسس مجمع مشابه في علم الكلام ، وهكذا في العلوم العقلية .

سابعاً: إيجاد فروع مستقلّة ، كالفقه والكلام ، فالفقه تخصّص مستقلّ في الحوزة فكذلك الكلام لا بدّ أن يكون له تخصّص مستقلّ ، وعدم الاكتفاء ببضع ساعات تخصّص للكلام ، بل ينبغي بعد الانتهاء من مرحلة معيّنة أن يتوجّه إلى الفقه والكلام فيتخصّص بها . . فيكون عندنا مجتهد في الكلام أيضاً .

ثامناً: تعليم اللغة الأجنبية بشكل إلزامي .

تاسعاً: تصنيف الطلّاب على حسب الأهداف . . فإنّ الأرقام تشير إلى وجود عدد كبير من الطلبة ، فيهم نحو من ثمانية آلاف من العلماء والفضلاء الأكابر ممّن اجتاز المراحل الدراسية وبلغ المراتب العالية في العلم لا يمكن إدراجهم في هذا التصنيف . فينتخب قسم من أصحاب القابليات ممّن لهم رغبة أكيدة في الفقاهة ليصبحوا في مدّة عشرين عاماً

مثلاً من الفقهاء والمجتهدين ومراجع التقليد، وهؤلاء بدورهم أيضاً يصنّفون، فبعض للتدريس وبعض للتأليف والتحقيق وبعض في العقائد والكلام.

ثمّ يختار قسم آخر من المجتهدين أو المراهقين للاجتهاد والمتجزئين للتواجد في المحافظات، وإعداد مثل هذا الكادر قد يحتاج إلى عشرين عاماً.

وقسم ثالث يتخصّص في التبليغ والخطابة والتأليف من أهل العلم والفضل؛ وذلك على صعيد داخل البلاد وخارجها، بالطبع فإنّ هذا العمل سوف لا يتحقّق غداً، بل قد يكون بعد خمسة أعوام إلّا أنّ الحوزة لا بدّ أن ترتقي إلى هذه المرحلة، وكلّما تأخّر العمل في ذلك فقد تأخّر يوماً، إلّا أن الحوزة إذا قرّرت ذلك فإنّه سيتحقّق رغم ما فيه من الصعوبات..

من هو المخاطب ؟!

إنّ المعنيّ بالخطاب ثلاث طوائف: **المخاطب الأوّل**: طبقة الأكابر في الحوزة المعروفين بالتقوى والعلم، فهم المخاطب الأوّل في كلامي؛ لما لهم من النفوذ في الحوزة. **المخاطب الثاني**: الطبقة الشابة من الفضلاء. **المخاطب الثالث**: مديرية الحوزة ورئيسها الموقّر وشورى الحوزة.

هذا، وقد كنت ذكّرتُ سابقاً بضرورة أن يعقد لكلّ مسألة يراد مناقشتها مؤتمر خاصّ بها بالمعنى الحقيقي للمؤتمر لا بصورة شكلية؛ وذلك بأن يحضره المتخصّصون ويبدوا آراءهم العلمية وتأمّلاتهم، ثمّ يحتفظ بتلك البحوث ونتائجها.